كلمة الحياة

تشرين الأوّل/ أكتوبر 2024

"مَن أَرادَ أَن يَكونَ كَبيرًا فيكم، فَلْيَكُنْ لَكُم خادِمًا. ومَن أَرادَ أَن يكونَ الأَوَّلَ فيكم، فَلْيَكُنْ لأَجمَعِكُم عَبْدًا" (مرقس 10، 43-44).

للمرّة الثالثة، يهيّئُ يسوع تلاميذَه، وهم في طريقِهِم إلى أورشليم، لحدثِ آلامِهِ وموتِهِ المأساويّ، لكنّ هؤلاءِ بالذات الذينَ تبعوهُ عن كَثَب يبدون عاجزينَ عن الفَهم. لا بل نشبَ صراعٌ بين الرسلِ أنفسِهم، إذ إنّ يعقوب ويوحنّا طلبا من يسوع أن يُمنَحا مركزَي شَرَفٍ "في مجدِه"[1]. ما جعل العَشَرةَ الآخرين يستاؤون منهما ويتذمّرون، فانقسمتِ المجموعة.

وها يسوع يدعوهُم جميعَهم إليه بكلّ صبرٍ، ويكشفُ لهم مرّةً إضافيّةً عمّا هو جديدٌ وصادمٌ في رسالتِه:

"مَن أَرادَ أَن يَكونَ كَبيرًا فيكم، فَلْيَكُنْ لَكُم خادِمًا. ومَن أَرادَ أَن يكونَ الأَوَّلَ فيكم، فَلْيَكُنْ لأَجمَعِكُم عَبْدًا".

في هذه الآية من إنجيل مرقس، نجد أنّ صورةَ العبدِ الخادم باتَت تأخذ معنًى أكبر وأوسع. يقودُنا يسوع من موقفِ الحضورِ البسيط في مجموعة محدودة ومُطَمْئِنة إلى موقفِ التفاني الكامل تجاه الجميع من دونِ استثناء.

إنّه اقتراحٌ مغايرٌ تمامًا ومعاكسٌ للمفهومِ البشريِّ للسلطة والحُكم الذي ربّما كان يُبهِرُ الرسلَ أنفسَهم، وتنتقلُ عدواهُ إلينا نحنُ أيضًا.

ألعلَّ هذا هو سرُّ المحبّةِ المسيحيّة؟

"ثمّةَ كلمةٌ في الإنجيل لا نشدِّدُ عليها كثيرًا نحنُ المسيحيّين: ألا وهي الخدمة. تبدو لنا قديمةَ الطِراز، لا تليقُ بكرامةِ الإنسان الذي يُعطي ويَأخُذ. ومع ذلك فإنّ الإنجيلَ كلَّهُ يكمُنُ فيها، لأنّهُ محبّة. والمحبّةُ تعني الخِدمة. لم يأتِ يسوع ليَأمُرَ بل ليَخْدُم. [...] أن نخدُمَ، أن نخدُمَ بعضُنا بعضًا؛ هذه هي المسيحيّة، ومَن يمارسُها ببساطة – والجميع قادرون على ذلك - فقد فعلَ كلَّ شيء؛ وهو كلٌّ لا يكتفي بذاتِه وإنّما، لأنّه المسيحيّةُ الحيّة، يشتعلُ وينتشرُ كالحريق"[2].

---

1 راجع متّى 10، 37.

2C. Lubich, Servire, in «Città Nuova» 17 (1973/12), p. 13.

"مَن أَرادَ أَن يَكونَ كَبيرًا فيكم، فَلْيَكُنْ لَكُم خادِمًا. ومَن أَرادَ أَن يكونَ الأَوَّلَ فيكم، فَلْيَكُنْ لأَجمَعِكُم عَبْدًا".

إنّ اللقاءَ مع يسوع في كلمتِهِ يفتحُ أعينَنا، كما حـدثَ لبرطيمـاؤُس الأعمى المـذكور في الآيات التي تلي هذه الآية[3]: إنّه يحرّرُنا من محدوديّةِ مخطّطاتنـا، ويجعلُنـا نتأمّـلُ في آفاقِ الله نفسِه، في مشروعِهِ من أجلِ "سماواتٍ جديدة وأرضٍ جديدة"[4].

فهو، أي الربّ الذي يغسِلُ الأرجُل[5]، ينـاقضُ بمثالِـهِ هـذا القَسْـوَةَ المرتبطـةَ بـأدوارِ الخِدمةِ التي غالبًا ما تُخصِّصُها مجتمعاتُنا المدنيّـة، وأحيانًـا الدينيّـة، للفئـاتِ الضـعيفة اجتماعيًّا.

فالخدمةُ المسيحيّة إذًا هي أن نقتديَ بمثالِ يسوع، وأن نتعلّمَ منه أسلوبًا جديــدًا في العلاقات الاجتماعيّة: فنكـونَ قريـبين إلى أقصـى حـدٍّ من كـلّ إنسـان، مهمـا كـانت ظروفُه الإنسانيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

وكما يقترح القِسّـيس جيوفـانّي أنزيـاني من الكنيسـة الميثوديـة الوالْدِنْسِـيّة: "[...] حين نقبلُ أن نضعَ ثقتَنا ورجاءَنا في الربِّ الـذي هـو خـادمُ الكثـيرين، عنـدَها، تَطلبُ كلمةُ الله منّا أن نعملَ في عالَمِنا وَوَسْطَ كُلِّ تناقضاتِه، كصانعي سلامٍ وعدالة، كبُناةِ جسورٍ للمصالحةِ بين الشعوب"[6].

هكـذا عـاشَ إدجينـو جيـورداني، الكـاتب والصـحافيّ والسياسـيّ وربُّ الأُسـرة، في مرحلــةٍ تاريخيّــةٍ اتَّسـمَتْ بالدكتاتوريّـة. ولقـد كتبَ معبِّرًا عن خبرتِـه: "السياسـة - بمعناها المسيحيّ الأكثر كرامة – هي خادمةٌ، ويجب ألّا تصبحَ هي السـيّد: فلا يمكِنُهـا أن تكونَ مُسيئةً أو مُهَيمِنةً ولا حتّى أن تكونَ عقيدة. فهنا تكمُنُ مهمّتُها وكرامتُها: أن تكونَ خِدمة اجتماعيّة، مَحبّة فِعليّة: وهذا هو الشكلُ الأوّل والأساسيّ لحُبِّ الوطن"[7].

يقترحُ يسوع، من خلال شهادةِ حياتِه، اختيارًا حُرًّا واعيًا: ألّا نعيشَ بعدَ اليوم منغلقينَ على أنفسِـنا ومَصـالحِنا الخاصّـة، بـل أن "نعيشَ الآخـر" ومشـاعِرَه، حـاملينَ أثقالَـهُ ومشاركينَهُ أفراحَه.

لـدينا جميعًـا مسـؤوليّاتٌ ومواقـعُ سـلطةٍ صـغيرة أو كبـيرة في المجـالِ السياسـيّ والاجتمـاعيّ، وكـذلك في العائلـة، وفي المدرسـة، وفي جماعتنـا الإيمانيّـة. فـدعونا نغتنِمْ فُرصةَ "مراكزِ الشـرَف" المُعطـاة لنـا لنضـعَ أنفسَـنا في خدمـةِ الخـيرِ العـامّ، ونبنيَ علاقاتٍ إنسانيّةً عادِلة ومتضامِنَة.

---

3 راجع مرقس 10، 46-52.
4 راجع أشعيا 65، 17 و66، وقد وردت في 2 بطرس 3، 13.
5 راجع يوحنّا 13، 14.
6https://www.chiesavaldese.org/marco-1043-44/
7P. Mazzola (a cura di), Perle di Igino Giordani, Effatà editrice Torino 2019, p. 112.

إعداد ليتيتسيا ماغري ولجنة كلمة الحياة